أصوات نسائية في الأدب العالمي

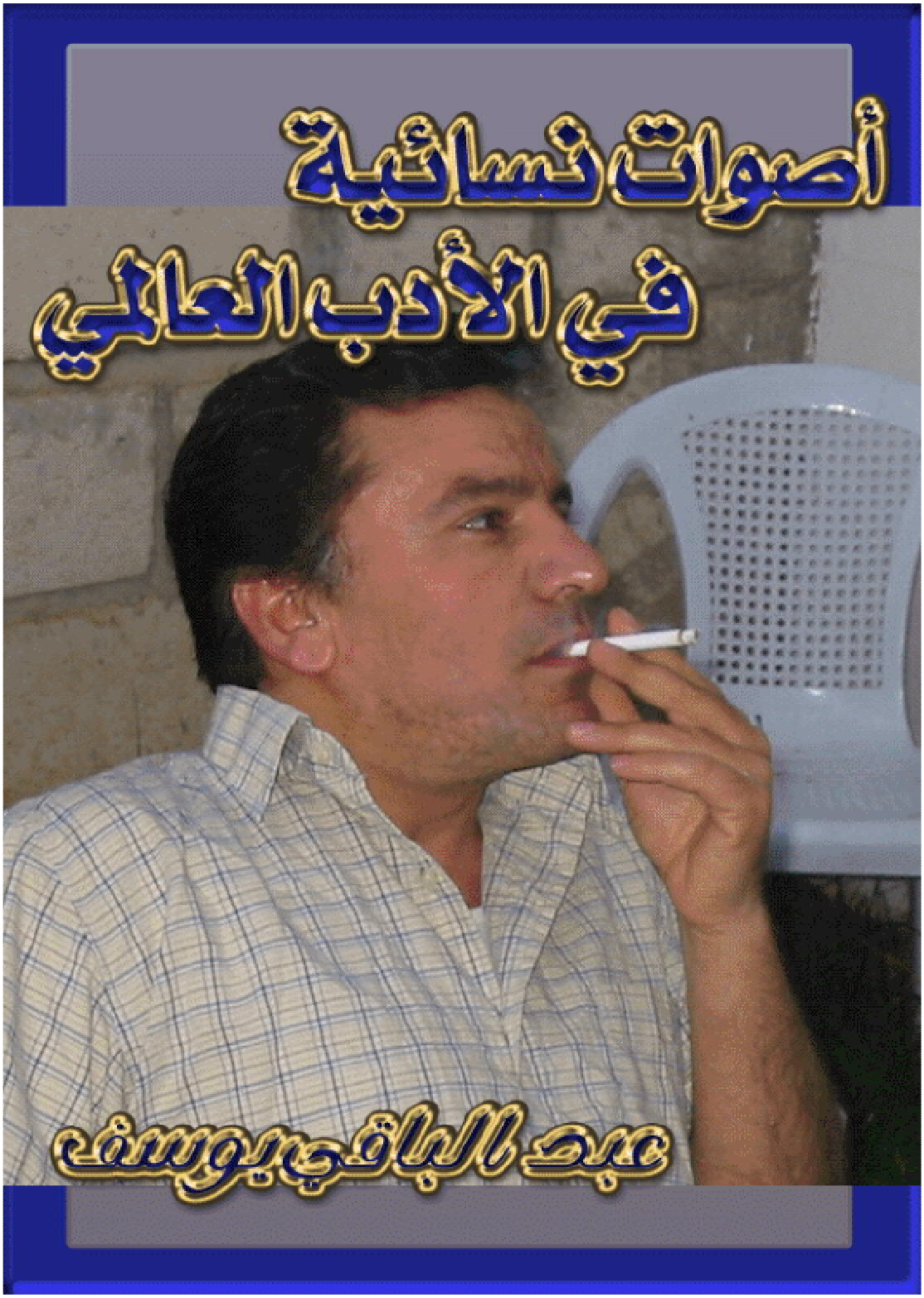

عبد الباقي يوسف

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة ل

www.nashiri.net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب

نشر إلكترونيا في يوليو ٢٠٠٣

أصوات نسائية في الأدب العالمي

دراســـات خاصـــة بموقع ناشري

فيما يلي نقدم لزوار موقع ناشري دراسات حول أعمدة الأدب العالمي وقد كتبنا هذه الدراسات خصيصا لزوار موقعنا آملين لهم - قرّاء وباحثين - المتعة والفائدة ٠ولايجوز بأي حال نشر هذه المقالات أو الاقتباس منها لأي جهة إلا بعد الموافقة الخطية من الموقع أو الكاتب ٠

عبد الباقي يوســف

a-osso@scs-net.org

آغاثا كريستي: سيدة الرواية البوليسية في العالم

المرأة التي عاشت كثيرا ورأت كثيرا وارتحلت كثيرا وكتبت كثيرا , قالت ما لم تقله كاتبة من قبلها , صورت أجواء روائية غاية في الإثارة والحساسية والجرأة الأدبية , ولو لم تكتب اسمها تحت كل هذه الإبداعات البوليسية لما كان بوسع أحد أن يتصور بأن ثمة امرأة غارقة في الرومانسية تقف خلف كل هذه الأجواء ٠ عاشت كريستي ثمانين سنة , وأنتجت ثمانين كتابا واعتبرت أعظم سيدة في العالم سنة ١٩٧١ ورسخ اسمها منذ ذلك التاريخ في ضمائر ملايين القراء من مختلف بقاع العالم ومن مختلف اللغات الحية فقد بيع لهامليارات ونصف نسخة من مجمل مؤلفاتها , وهو الرقم الذي لا يتجاوزه أحد في العالم غير شكسبير والتوراة , وغدت السيدة كريستي السيدة الأولى في عالم الأدب البوليسي يعتمد على رواياتها كبار المخرجين لنقلها إلى السينما وتتبارى دور نشر كبرى لطباعة وترجمة أعمالها في طبعات متتالية ٠هنا سنتعرض لسطور قليلة من حياة وأدب هذه الكاتبة التي ولدت يوم ١٥سبتمبر من عام ١٨٩٠ لأم إنجليزية وأب أمريكي ٠ تصف كريستي مرحلة طفولتها : " كان شعري مرفوعا كما كان دارجا في تلك الحقبة ويسمى - على الطريقة الإغريقية – مع

ضفائر عالية تحيط بها عصابة حريرية بيضاء ملونة ٠ كان هذا الزي فعلا زيا أنيقا ٠٠ من أمتع سنوات حياتي وأسعدها سنوات طفولتي الأولى , كان لدي بيت وحديقة كنت أعشقهما , ومربية ممتازة , وكان أبي وأمي يجسدان الحب والحنان وجعلا من حياتهما حياة ناجحة وهانئة " ٠ وكأي امرأة عادية فقد تزوجت وأرادت أن تبني بيتاً وتربي أطفالاً ٠كانت في الرابعة والعشرين عندما التقت السيد أرشبالد كريستي وتزوجته , وكان طيارا , ولكن هذا الزواج باء بالفشل رغم أنه دام سنوات وأثمر ابنتها روزالين , ففي عام ١٩٢٨اكتشفت كريستي أن زوجها يحب سكرتيرته , وهي فتاة سمراء تدعى نانسي نيل تصغرها بعشر سنوات , ويسعى للزواج منها وهي العقبة الوحيدة في وجه هذا الزواج ٠ وبالفعل فقد هرب الرجل من كريستي ليتزوج من هذه السكرتيرة الجميلة فكان ذلك بمثابة وقع الصاعقة على آغاثا التي استسلمت للأوهام رغم مواهبها الأدبية , وما زاد ها كآبة في تلك المرحلة أن والدتها فارقت الحياة فبقيت كريستي في أزمة نفسية حادة أدت بها إلى ترك سيارتها في إحدى الطرقات واللجوء إلى فندق على أحد السواحل تحت اسم مستعار هو اسم سكرتيرة زوجها , وبدت فاقدة للذاكرة تطلب من الناس التعرف إليها وتحديد هويتها , ثم نشرت رسالة بهذا الأمر في إحدى الجرائد المحلية ولكن بدون جدوى لأن الرسالة كانت محررة باسم آخر , لكن فيما بعد تعرف إليها بعض أهلها ونقلت إلى مصح نفسي تتلقى العلاج ٠بعد بقاء طويل تحت الإشراف الطبي في المصح تماثلت كريستي للشفاء وعادت إلى القلم

علّه ينسيها صفعة الحب فكتبت روايتها " الرجل القاتل " وهي تعاني أزمة المرأة المطلقة التي هجرها رفيق دربها ليقترن بامرأة أخرى ،لكن تبقى المرارة تعتصرها مدى الحياة فيبدو هذا جليا في رواياتها التي تصور في بعض المقاطع واقع هذه المرارة الشخصية , وأذكر هنا مقاطع البداية من روايتها " المرآة المكسورة " التي تقول فيها: مارينا غريغ امرأة جميلة ذات موهبة رائعة , كانت لها قدرة عظيمة على الحب والكراهية , ولكنها لم تكن مستقرة فمن المؤسف حقا أن يفقد المرء الشعور بالاستقرار ، وفي " ذاكرة الأفيال " تقول : السيدة بيرتن كوكس تفتح من جديد خزائن ماضي رافينز كروفتا , ولكن هذا الماضي مختلف ومخيف ، وفي "تحريات باركرباين " تكتب : أحست السيدة باليأس والأسى , ولكن حياتها انقلبت رأسا على عقب بعدما قرأت في الصحيفة إعلانا يقول : هل أنت سعيد ،

ولكنها لم تستسلم لليأس ولكتابة المرثيات , وهنا تقرر أن تبدأ فصلا جديدا من حياتها , هذا الفصل الذي سيكون بطله زوجها الثاني , فقد سافرت إلى العراق وتزوجت من السيد ماكس ما للون وهو عالم آثار كان يعمل في المناطق الأثرية في العراق في محاولاته للكشف عن مدينة " أرو " السومرية , وربما كرد على زوجها الذي تزوج امرأة تصغرها بعشر سنوات , فقد كان هذا الزوج الثاني يصغر آغاثا أيضا بست عشر سنة , ولكنه كان زواجا فاشلا ولم يثمر أطفالا لكنها هناك قامت بتأليف روايتها " جريمة في العراق " , أما ما لفت الأنظار إليها بقوة ككاتبة بارعة في الاتجاه البوليسي هو كتابها " أساليب

القتل في القضايا الغامضة " وبخاصة شخصية " هيركول بايروت " التي غدت محببة في صفوف كبار الممثلين السينمائيين والمسرحيين بحيث بات كل ممثل لامع يحلم بأداء هذا الدور كي يحظى بمكانة لدى القراء , وبالفعل كانت عملية قريبة إلى المباراة لتجسيد هذا الدور , ومن أشهر هؤلاء ألبرت فيشي , وبيترا ستنيوف , ويذكر أن رواية هذه الكاتبة البارعة الأخيرة " مصيدة الفئران " لعبت أدوارها ١٣٧٨٠مرة وترجمت إلى ٢٥لغة ٠ بالطبع هذا يعود إلى تمكن الكاتبة من أدواتها وانتقاء مواضيعها وبالتالي عدم الخروج من خطها العام الذي عرفت به , فكانت كل رواية هي لبنة جديدة من ذاك الصرح الذي شيدته آغاثا كريستي بسهر الليالي والسفر والقراءة والإصغاء الجيد للآخرين , فكانت توظف كل لحظة من لحظات حياتها لأدبها وعملها الدؤوب المستمر دون كلل أو ملل ٠

كما أن كريستي تنتقي موضوعاتها بدقة , فإنها تنتقي عناوين رواياتها و كذلك الجمل المعبرة عن أي عمل جديد تقدمه ٠ ومن عناوين هذه الروايات : لغز ستافورد – ليل لا ينتهي – القضايا الأخيرة للآنسة ماريل – ذو البدلة البنية – الحصان الأشهب – المرآة المكسورة ٠

تبدأ كريستي رواياتها بجمل تجذب القارئ فتدخله بتدرج إلى وقائع عالم الرواية , فيشعر قارئها برغبة لقراءة رواية جديدة وكأنها تكتب سلسلة متصلة ٠

إلى جانب كل هذا المجد الأدبي وهذه الشهرة العالمية التي حققتها بقيت آغاثا كريستي التي لقبت ب :" الملكة الثانية للإمبراطورية

البريطانية " سيدة هادئة الطبع , تعيش حرارة وبرودة وقائع الحياة الاجتماعية العامة٠ وبعد كل هذه التجارب والمحن والإبداعات قالت في نهاية حياتها : " هذه نزهاتي الطويلة قد انتهت , وحمام البحر الذي آسف عليه , وتناول شريحة من اللحم الـ(ستيك) أو التفاح , أو ثمار العليق , وهاهي متاعب الأسنان أيضا , والحرمان من الطباعة الأولى الدقيقة , لكن مازال هناك الشيء الكثير ٠٠ الأوبرا ٠٠ الموسيقى ٠٠ومتعة الإيواء إلى السرير والذهاب في نوم عميق أحلم فيه بأشياء متنوعة ٠ شكرا لله على هذه الحياة الجميلة التي عشتها , وعلى كل هذا الحب الذي لقيته " ٠

لكن بقي من هذه السيدة الكثير , بقي منها كل ذاك الإرث الروائي والأدبي , وبقيت شخصية امرأة كافحت من أجل ألا تستسلم لليأس الذي كاد أن يستبد بها, لقد رغبت كريستي في أن تقول شيئا لأبناء هذا العالم , وقد ترجمت رواياتها إلى كل لغات الأرض الحية ٠

توني موريسون: البحث عن المساواة من خلال الرواية

لم يكن أمام الروائية الأمريكية توني موريسون أن تدافع عن أبناء قومها إلا من خلال الرواية , ولذلك فإن معظم أعمالها تتحدث عن العلاقة بين السود والبيض في أمريكا , وهذا ما أكسب هذه الروائية شهرة عالمية ٠تحاول توني موريسون من خلال أعمالها الروائية أن تقدم حالة من اللاتوازن في مجتمع غير متوازن،هذه الحالة التي يعيشها معظم أفراد المجتمع , ولذلك فإن أبطالها، أو بالأحرى بطلاتها يعانين من حالة الاغتراب حتى وهن في حضن الأسرة. ويبدو أن التمييز العنصري بحق السود بلغ مع موريسون ذروته إذ أنها لم تعد ترى في العالم إلا السواد. ..فشخصياتها تعاني من اقرب الناس إليها، ولعل « بيكولا لابريد لوف» ، هي النموذج الأكثر ألماً وفجيعة في روايتها «أشد العيون زرقة» فالظلم هنا يقع من أقرب الناس ألا وهو الأب وأي شكل من الظلم القاسي هذا الذي يحيلها إلى امرأة مهووسة في النهاية وتتعلق بعيني دمية زرقاوين. تقول موريسون: أعي العنف الرهيب والجهل المتعمد والجوع لإيلام الآخرين، أعي ذلك دائماً رغم أني أقل وعياً به تحت ظروف معينة. والواقع فإن موريسون تسقط آلام ووقائع المقربين لها على شخصياتها في بعض مواقع كتاباتها تقول

عن روايتها «أشد العيون زرقة»: «في أشد العيون زرقة أعتقد اني استعملت إيماءات وبعض الحوار مما أذكره عن أمي في أماكن معينة وبعض الجغرافيا ».وتأتي روايتها «سولا» لتعطي نموذجاً حياً عن حالة الاغتراب في مجتمعها إلى درجة أن الصديقة وهي مع صديقتها القريبة تشعر بالاغتراب عنها... فـ سولا بيس تلتقي بـ نيل رايت في أوهايو، ومن خلال هذه العلاقة نتعرف على العزلة التي تفرض عليهما حتى من قبل الرجال فلا تجدان من يشاركهما حياتهما. إن توني موريسون تتعرض لأكثر المواضيع حساسية في كتاباتها وبالتالي تفتح صفحات المجتمع الأمريكي بذكاء وخبرة ونضج... ودوماً تطرح العلاقة ما بين البيض والسود نفسها بقوة ومن أبرز هذه الروايات: أغنية سولومون تاريبي محبوبة جاز. ولعل الأهمية التي تكمن في هذا الطرح هي أن القارئ يستنتج بعد تفرغه من روايات موريسون أن الأفراد لايملكون إلا أن يكونوا أبناء المجتمع الذي يعيشون فيه و يتأثرون بمعطياته , وأي خلل في المفهوم الاجتماعي , أو في التركيبة الإجتماعية يدفع ضريبته هؤلاء الأفراد ٠ و بالطبع فإن الكاتبة تكتب بجرأة عن وقائع الحياة " الأفريقية الأمريكية " كما تسميها و لذلك عندما أثارت روايتها " الفردوس " نقاشات حادة في الأوساط الثقافية و الاجتماعية أجابت عن كل تلك الأسئلة بأنها لا تبالي مادامت تمسك بقلمها وتواصل الكتابة ٠ وضعت توني موريسون بعض الشروحات حول كيفية الكتابة لديها في كتابها النقدي " اللعب في الظلام " وهو كتاب يضيء جوانب هامة من أسلوبها السردي الروائي ٠ تروي

موريسون تفاصيل عملية الكتابة لديها: لقد كان ذلك.. أردت ترجمة التاريخي إلى الشخصي، قضيت وقتاً طويلاً محاولة فهم ما جعل العبودية بتلك البشاعة وبقراءة بعض الوثائق لاحظت الإشارة إلى شيء لم يوصف ابداً بشكل كاف: اللجام، ذلك الشيء الذي كان يوضع في أفواه العبيد لعقابهم وإخراسهم دون أن يمنعهم ذلك من العمل. قضيت وقتاً طويلاً محاولة اكتشاف شكل ذلك الشيء كنت اقرأ عبارات متكررة مثل: وضعت اللجام في فم جيني، أو كما يقول إيكويانو: ذهبت الى المطبخ ورأيت امرأة تقف قرب الفرن وكان في فمها لجام: فقلت: ما ذاك؟ فأخبرني أحدهم ، فقلت: لم أر شيئاً أرهب من هذا في حياتي كلها، لكني لم أستطع تخيل ذلك الشيء هل كان كلجام الحصان أم ماذا؟ وتضيف موريسون موضحة بأنها تعتمد في بعض المواقع على وثائق ووقائع لدعم مواضيعها: أخيراً وجدت بعض الاسكتشات في كتاب "في هذا البلد "وقد كان سجلاً لتعذيب رجل لزوجته في أميركا الجنوبية، لكن بينما كنت أبحث حدث لي شيء آخر وهو أنني اكتشفت أن هذا اللجام، أداة التعذيب الشخصية هذه ، كانت الوريثة المباشرة لمحاكم التفتيش.. هناك مقطع يقول فيه بول د. لسيثي : لم أخبر به أحداً عنه، لقد كنيت عنه احياناً، إنه يحاول ان يخبرها عن إحساسه بلبس اللجام لكنه ينتهي الى الحديث عن ديك يحلف انه ابتسم له عندما لبسه، لقد شعر بانحطاطه وانه لا يساوي ديكاً يقف في ضوء الشمس .

أشير ايضاً بشكل متكرر إلى الرغبة بالبصاق، بمص الحديد وهكذا، لكن بدالي أن وصف الحالة سيصرف نظر القارئ عما أردته ان يجرب

كيفية الإحساس بذلك... ذلك النوع من المعلومات بين سطور التاريخ، ويبدو وكأن أشياء كهذه تسقط من الصفحات... إنه هناك عند ذلك التقاطع الحاصل، عندما تصبح المؤسسة شيئاً شخصياً، عندما يصبح التاريخ أناساً لهم اسماؤهم. يمكن ملاحظة بأن الخيال الأدبي يلعب دورا بارزا في معظم روايات هذه الكاتبة , وهي تستخدم في بعض مراحل الكتابة لغة شاعرية بالغة الرهافة حتى هي تعالج موضوع التفرقة العنصرية ولكن ماذا تريد ان تقول هذه الروائية من خلال اعمالها؟

إنها تدعو الى أن يتعامل الانسان مع الانسان بإنسانية بالدرجة الاولى... وتدعو الى أن يتعامل الرجل مع المرأة على أنها إنسانة وشريكة له في الحياة . أما إذا مالت المرأة الى طرق ملتوية، فإن موريسون تحمل الرجل سبب تخلّيه عن المرأة.

يمكن تلخيص ان موريسون تدعو الى « المجتمع المتماسك» في واقع متفتت يعطي صورة جميلة عن شكله، لكنه ينهار في مضمونه. وربما لذلك تم منح هذه الكاتبة أبرز جائزة أدبية في العالم وهي جائزة نوبل عام ١٩٩٢ ٠ حققت موريسون مجدا أدبيا وانتشارا واسعا على قدر ما تمسكت بواقعيتها المحلية ,و نجاحها في تصوير وتقديم هذه الواقعية للعالم ٠

سطور من حياة سيمون د ي بوفوار

يمكن للمرأة أن تحمل على كتفيها عصرا كاملا , فتقوم بعملية تمثيل هذا العصر الذي عاشته , والذي عاشها ٠ يمكن أن تتلخص مئات , بل آلاف النسوة في امرأة واحدة , فتمثل العبقرية , والشفافية , والوعي , والمشاركة في سائر الفعاليات الاجتماعية والفكرية والسياسية ٠ هذه المرأة التي تكون نادرة الظهور عبر العصور والحقب الزمنية , وحتى لو كانت موجودة , فلا تجد إتاحة الفرصة للظهور , فتكون بطلة مجهولة , أو بطلة مهمشة ٠

يمكن اعتبار أن سيمون دي بوفوار قد ساهمت بفعالية بارزة في ترسيخ مفاهيم حضارية جديدة في بنية المجتمع الفرنسي المعاصر , وقدمت إسهاما أكسب المرأة مزيدا من المكانة الاجتماعية , والاعتراف بمواهبها وتميزها ٠ لاشك أن دي بوفوار مقروءة في فرنسا و سائر اللغات الحية بشكل جيد , وما ذلك إلا لأنها انطلقت عبر مجمل كتاباتها من خصوصيات المرأة التي تطمح إلى الإبداع وتقديم خدمات جليلة للمجتمع الإنساني بصفة عامة ٠ وهكذا انطلقت خطواتها الأولى وهي تدخل الجامعة في السوربون وتلتقي شخصا سوف يقترن

اسمها باسمه وسوف يعملان بقوة معا ولن يفترقا إلى آخر لحظات الحياة ٠

كانت في الواحدة والعشرين وكان الشاب في الرابعة والعشرين يدرسان الفلسفة ويعيشانها ويسعيان في تلك الفترة المبكرة إلى نمط جديد من التفكير , وهنا بودي أن أقول أن ما جمع سارتر وبوفوار من فكر كان أقوى من العاطفة , حتى أن االعاطفة تفرعت من الحميمية الفكرية بينهما , فكانت معجبة بفكر سارتر إلى أبعد حد ومنذ لحظة البداية استطاع سارتر أن يفرض شخصيته عليها ٠ تتذكر وقائع اللقاء الأول به : " كانت المرة الأولى التي أشعر أنني ألتقي بإنسان أشعر أمامه بالضآلة " ٠

التأثر مـع الحفاظ على الخصوصية

لكنها لم تسمح لسارتر أن يفقدها خصوصيتها وشخصيتها رغم كل ذاك الإعجاب والتعلق الفكري والروحي , فهي ذاتها سوف تكون صاحبة الكتاب الذي زلزل فرنسا وأحدث ضجة كبرى في الأوساط العلمية والاجتماعية والثقافية في العالم , وهو كتابها الشهير " الجنس الآخر " عام ١٩٤٩ الذي يترجم إلى غالبية اللغات الحية ٠ ومن المفاهيم التي تطرحها في هذا الكتاب : " ليس هناك قدر بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يقرر الشكل الذي تمثله المرأة في المجتمع ٠ إنها الحضارة ككل هي التي تنتج ذلك المخلوق والذي نطلق عليه اسم الأنثى "

٠وعندما يتألق سارتر في " الوجود والعدم " سوف تفوز رواية بوفوار " رجال الفكر " بجائزة جونكورعام ١٩٥٤ , أي بعد عام واحد من " الوجود والعدم " ٠ في عام ١٩٥٨ تباشر بنشر مذكراتها التي تقع في أربعة أجزاء وهي : مذكرات فتاة رصينة عام ١٩٥٨ ــ عنفوان الشباب عام ١٩٦٠ ــ قوة الشياء عام ١٩٦٣ ــ موت مريح جدا عام ١٩٦٦ ٠

أخذت أفكار الكاتبة تتطور بتقدم مراحل العمر وأصبحت تكتشف الحب والتعلق الكبير بسارتر وبذات الوقت بات التقدم في السن يشكل قلقا لها فتكتب عام ١٩٧٠ كتابها " المرأة العجوز " تقول فيه : " كبر السن وليس الموت هو الذي يجب أن يقارن بالحياة ٠٠ كبر السن هو محاكاة ساخرة للحياة بينما الموت هو الذي يحول الحياة إلى مصير"٠ وكما أنها بدأت حياتها مع جان بول سارتر , فسوف تنهي عمرها بكتابها الأخير الذي تسميه " وداعا سارتر " عام ١٩٨١ تسرد فيه بعض الوقائع التي لم تكن معروفة عن سارتر وتقول بأنه هديتها الأخيرة إلى الرجل الذي أمضت معه حياتها : " لقد كان رجلا حقيقيا يعرف كيف ينتمي إلى الحقيقة وكيف يبحث عنها وعندما وضعت كتابي كنت واثقة أن هذا أفضل ما يمكن أن يقدم لرجل لايزال حيا ٠٠ كشفت عن سارتر الجانب الذي كان الناس يريدون أن يعرفوه , فلسفته ليست تعبيرا امبراطوريا عن أفكار تجول في وجدان الشخص , إنها الدخول إلى أعماق الناس ٠ حاولت أن أضيء بعض المشاهد غير

المعروفة في حياته لكي أظهر كيف أن الإرتجاج هو انعكاس جزئي لزلزال يتشكل داخل عقل الفيلسوف " ٠ لم يعد كافيا قراءة سارتر كي نتعرف به , بل غدا من الأهمية أن نطلع على كتابات بوفوار حتى نتمكن من التعرف بسارتر على نحو أفضل , كما أننا بحاجة إلى قراءة سارتر حتى نتعرف بسيمون دي بوفوار في مختلف كتاباتهما , وبات من الصعوبة الحديث عن أحدهما دون ذكر الآخر ٠ وهذه هي الميزة الكبرى التي تسجل لبوفوار في ارتقائها إلى هذه الموازنة رغم كل ما لديها من خصوصية فكرية وإبداعية ٠ استطاعت سيمون دي بوفوار أن تترك بصمة امرأة عاشت كثيرا وكتبت كثيرا وتميزت كثيرا ٠

السيرة الذاتية للكاتب

عبد الباقي يوسف
روائـي وقاص سوري
عضو اتحاد الكتاب العرب
عضو جمعية القصة والرواية السورية

صدر له في مجال القصة القصيرة :
١- سيمفونية الصمت – قصص –١٩٨٩
٢- الحب في دائرة العبث – قصص – ١٩٩١
٣- طقوس الذكرى – قصص – ١٩٩٢

وفي الرواية :
١- بروين - ١٩٩٧
٢- جســـد - ٢٠٠٣

- فاز بجائزة / المبدعون / للرواية العربية في الإمارات عام ٢٠٠٢ بروايته / خلف الجدار / ٠
- جائزة نادي الطائف الأدبي للقصة القصيرة ٢٠٠٣

العنوان كاملا: الجمهورية العربية السورية

محافظة الحسكة – ص ب ٢٦٧

هاتف : ٠٠٩٦٣٥٢٣٦٧٤٦٢

خليوي : ٠٠٩٦٣٩٤٣٨٤٢٦٧

البريد الإلكتروني : a-osso@scs-net.org